التنافس بين لغات العالم

"كلمات العالم..منظومة اللغات الكونية" للمؤلف أبرام دوسوان ونقله للعربية المترجم د.صديق محمد جوهر.

هو عنوان الكتاب الصادر مؤخراً عن مشروع كلمة في أبو ظبي يتألف الكتاب الجديد - الذي يعتبر موسوعة بحثية تجمع لغات العالم في دراسة واحدة - من تسعة فصول و مقدمة تمهيدية، ويدور النقاش في هذا الكتاب عن المجموعات اللغوية على مستوى العالم أو ما أسماه المؤلف بظاهرة التكوكب اللغوي الكوني التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من النظام العالمي، وبما ينطوي عليه ذلك من أن المجموعات اللغوية تعد ظاهرة اجتماعية عالية الخصوصية يمكن فهمها في ضوء نظريات العلوم الاجتماعية، وهذا أيضاً أمر جديد، و إن يكن غير فريد في سوابقه.

لقد كان ظهور اللغة تحولا عظيما بكل المقاييس، وكان تطورها - على صورة لغات لا يمكن حصرها ولا يمكن للناطقين بلغة ما فهم كل اللغات الأخرى - دليلاً قاطعاً على الإبداع الإنساني، ولما كانت اللغات قد نضجت كلٌ على حدة في سياق الانتقالات والتحولات الجمعية، فلابد وأنه قد برزت للوجود أشكال جديدة للنطق، وظهرت الآف من الكلمات المستحدثة وتطورت مئات القواعد النحوية والتراكيب اللغوية وكذلك الاستثناءات اللغوية التي لا تحصى، و لقد نشأ كل هذا التطور نتيجة للفعل الإنساني، و مع ذلك ففي غالب الظن أن من أحدث هذا التطور لم يكن يسعى إلى ذلك وبالتالي لا يمكن أن يُعزى هذا التطور إلى القصد البشري.

كما يستعرض الكتاب التنافس والتواؤم بين المجموعات اللغوية العالمية عبر دراسة اللغات من وجهتي نظر كل من علم الاجتماع السياسي وعلم الاقتصاد السياسي، أما الأول فيركز على بنية النظام اللغوي وأنظمته المحيطة كما يعنى بما يسمى «الغيرة اللغوية» بين الجماعات المختلفة، واحتكار النخبة للغة الرسمية، وإقصاء الأميين وغير المتعلمين، كما يولي اهتمامه لاستخدام اللغة كوسيلة لتحقيق الحراك الاجتماعي الصاعد، أما العلم الثاني فيتصدى لتحليل الطرائق التي يحاول الناس بها تعظيم فرصهم في الاتصال، وكيف أن هذه المحاولات تصادف معضلات في العمل الجمعي إلى الدرجة التي قد تدفعهم دفعاً للنزوح الجماعي نحو لغة أخرى والتخلي عن لغتهم الوطنية، كما يتطرق هذا العلم إلى ما يجري في علاقات التبادل غير المتكافئ بين المجموعات اللغوية الصغيرة والكبيرة، ويتعين القول إن الكثير من هذه الأفكار المستقاة من علمَي الاجتماع والاقتصاد لم تطبق أبداً من قبل في مجالي دراسة اللغات والمجموعات اللغوية المختلفة، بيد أنهما معاً (علمَي الاجتماع والاقتصاد) يشكلان إطاراً نظرياً متسقاً يساعد على تفسير وقائع تخص مجموعات لغوية عالمية متباينة كما في الهند وأندونيسيا، وشبه الصحراء الأفريقية وجنوب أفريقيا، أو الاتحاد الأوروبي.

لقد انتظم سكان الأرض في قرابة مائتي دولة وشبكة منظمات دولية تمثلان البعد السياسي للنظام العالمي، وتم ربطهم بسلسلة من الأسواق والشركات، تجسد البعد الاقتصادي لهذا النظام، كما تم ربطهم بالثقافة العالمية الشاملة عن طريق الإعلام الإلكتروني، كما تأسس النظام البيئي الذي يهدف لتحسين ظروف البيئة المتدهورة، لقد حظيت فكرة إقامة مجتمع إنساني شامل على نظام ذي نطاق عالمي بالمزيد من الاهتمام في الأعوام الأخيرة، ومع أن البشرية التي فرقت بينها كثرة اللغات، قد ارتبطت، مع ذلك، عبر شبكة المتحدثين متعددي اللغات، فأقامت مجموعات لغوية متناسقة مضيفة بذلك بعداً آخر للنظام العالمي، فإن هذه الحقيقة بقيت خافية لحد الآن علماً بأنها غنية عن أي توضيح.

ويرى المؤلف أن الجنس البشري يتفرع لما يربو على الخمسة آلاف جماعة يتحدث كل منها لغة مختلفة ولا يفهم أيّاً من لغات الآخرين، ورغم كل هذه الوفرة اللغوية جلبت البشرية على نفسها بلبلة لغوية جمة، بيد أنه، وبالرغم من ذلك ظل الجنس البشري بأنواعه مترابطاً، إذ تخطى هذا الانقسام من يتحدثون أكثر من لغة فضمنوا الاتصال بين الجماعات المختلفة، وبذلك حفظت التعددية اللغوية اتصال البشرية التي فرقت بينها كثرة اللغات، ويؤكد المؤلف أن روابط التعدد اللغوي بين المجموعات اللغوية المختلفة لم تظهر اعتباطاً، ولكنها على خلاف ذلك، أقامت شبكة اتصال قوية فعالة مدهشة تربط بشكل مباشر أو غير مباشر بين البلايين الستة من سكان الأرض، إن ما يشكل نظام اللغة العالمي هو هذا النموذج الإبداعي للروابط بين المجموعات اللغوية التي تشكل منظومة اللغات العالمية، إن هذه المجموعات اللغوية جزءٌ لا يتجزأ من نظام اللغة الكوني كما أنها تمثل قطاعاً من النظام العالمي ذاته.

ويتزايد الاعتقاد حالياً بأن كل اللغات الجاري استعمالها على الأرض تنتمي إلى أصل مشترك وأنها تطورت على الأرجح في أعقاب المسيرة التطورية للبشر الحاليين المتحدرين من سلالة جينية مشتركة خلال ما يقارب المائة والعشرين ألف عام، وفي الوقت الراهن وفي ظل تقدم علم الدراسات الجينية وعلوم اللغات المقارنة والآثار القديمة، ظهرت مجموعة متلاحقة ومتنامية من البراهين التي تثبت هذا الأصل المشترك، ومهما يكن من أمر فإن أثبتت الدراسات يوماً أن الجنس البشري ولغاته جاؤوا من أصول متعددة ومتفرقة، فلا ريب أن المجموعات البشرية تشكل في الوقت الراهن كُلاً واحداً متكافلاً، كما أن لغاتهم تقيم معاً مجموعات متعددة تمثل بعداً واحداً من أبعاد النظام العالمي في الوقت الحاضر، ثمة خمسة أو ستة آلاف لغة متداولة على الأرض، لا يمكن تدقيق الرقم بالدرجة المنشودة، إذ أن اللغات غير قابلة أحياناً للحصر الحسابي، وفي هذا السياق تشبه اللغات الغيوم، فليس من اليسير على أحد أن يخبرنا أين تبدأ غيمة وأين تنتهي أخرى، مع أن معظم الغيوم واللغات تتمايز بوضوح خلال المساحات الرائقة الفاصلة بين بعضها البعض.

لعل من الأفضل مقارنة اللغات - في تنوعها الذي لاينفذ وتركيبها المستغلق - بالظاهرة الأخرى الأكثر تعقيداً وعظيمة التنوع، ألا وهي الحياة ذاتها، وكما يمكن تحديد الأجناس البشرية بقدرة أفرادها من الذكور و الإناث على التكاثر، فإن لغة ما يمكن تحديد خصائصها بقدرة أي ناطقين بها على فهم أحدهما الآخر، وتعتبر أي لغتين «متمايزتين»، لو كان المتحدثون بأي منهما لا يفهمون بعضهم الآخر، وكما أن أنواع الأجناس تتفرع في تنويعات كثيرة ومتداخلة فإنه يمكننا بالفعل تمييز العديد من اللهجات المشتركة المفهومة داخل منظومة اللغات الكونية، وكما تتداخل التنويعات البيولوجية للنوع أو الجنس الواحد -كل منها في الآخر- فإن الأمر ذاته يحدث للهجات اللغة الواحدة بما يفسر غلبة الخلاف والجدل حول التصنيف في كلا الميدانين، وبالفعل فإنه من الصعب بمكان التمييز بين اللغات المتشابهة، وحيث يكون التزاوج هو البرهان في البيولوجيا، يأتي الفهم برهاناً في اللغويات، ولكن الفهم المتبادل بين لغتين لا يمثل خاصية مشتركة بينهما -كما أنه لا يختلف كثيراً عن التهاجن- بالإضافة إلى أنه يعتمد على المتحدثيين أنفسهم لأنه مرهون بمهارات المتحدثين المتفاوتين في فهم الغرباء عنهم وإرادة الاتصال بالغير، والسياق الذي يتم فية التواصل مع الغير والذي قد يؤدي إما إلى تيسير الفهم المتبادل أو عرقلته، وبينما لا يوجد أي شك في أن «الصينية» و«الهولندية» لغتان مختلفتان تماماً، يصبح الأمر خلافياً عندما نسأل أنفسنا عما إذا كانت الألمانية والهولندية لغتين متمايزتين بالفعل، ومن ناحية أخرى يؤمن سواد الناس أن الفلمنكية والهولندية تنويعتان على نفس اللغة (طالما أن المتحدثين بهما لا يصادفون مشقة على الإطلاق في التفاهم فيما بينهم، كل بلغته الخاصة، مع الأخذ بالحسبان الاختلافات التي يستحيل تجاوزها بين الاثنتين)، ومع التسليم بالطبيعة الغيمية Cloudy Nature للغات- المشار إليها آنفاً- فإنه ومع ذلك وطيلة الوقت يتم تناول اللغات هنا كوحدات متمايزة، تفصلها حدود عدم القدرة على التفاهم.

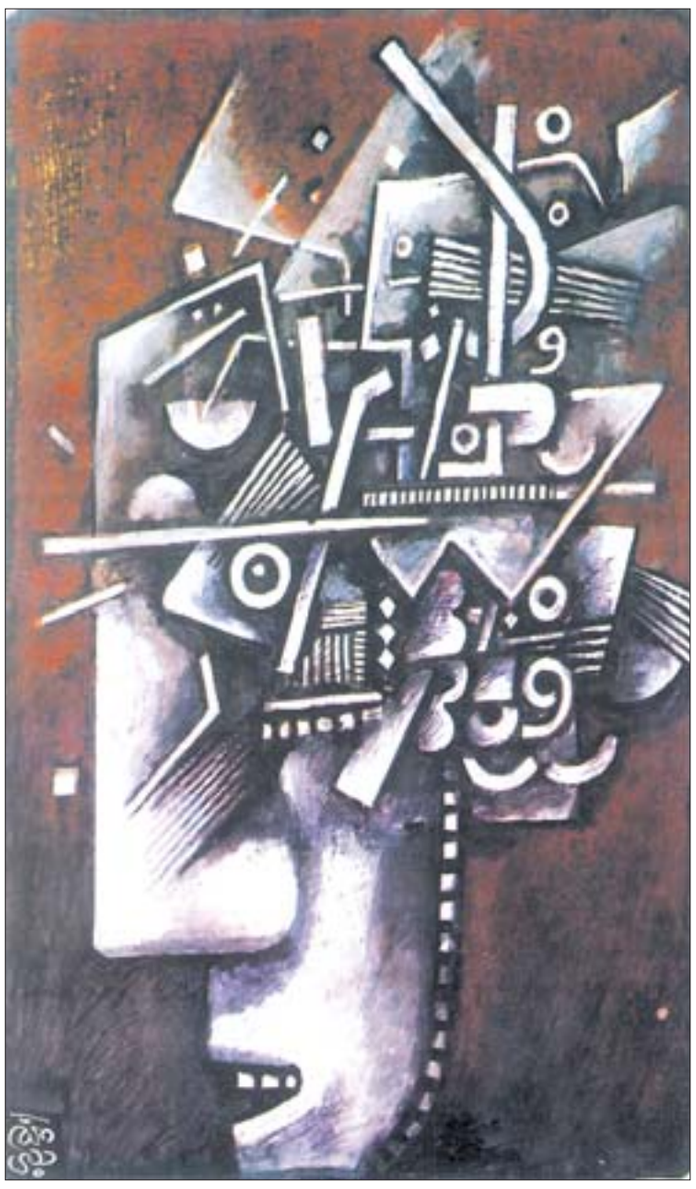

وأخيراً يرى المؤلف أن الناطقين الأصليين باللغة الإنجليزية محظوظون لأن لغتهم أصبحت لغة عالمية عابرة للحدود ولذلك أتاحت لهم هذة الخاصية العديد من الفرص العظيمة كما وفرت عليهم الكثير من الجهود، ومن ناحية أخرى بذل مئات الملايين من البشر جهوداً مضنية من أجل الاستفادة من اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة أجنبية ناقلة للفكر الكوني، وليس هناك لغة إنجليزية واحدة وإنما مجموعة من اللغات الإنجليزية ذات القواسم المشتركة التي ظهرت في أماكن متفرقة حول العالم، ومع ذلك لا يتمتع المتحدثون باللغات الإنجليزية الفرعية بالمكانة التي يحظى بها المتعلمون من أبناء اللغة الأصليين في بريطانيا والولايات المتحدة، وبالإضافه إلى ما سبق ذكره فإن وسائل الإعلام في أمريكا وبريطانيا ستظل لأزمنة طويلة هي المتحكمة في توزيع وبث النصوص الإعلامية باللغة الإنجليزية حول العالم، أما بالنسبة لأولئك الذين تعلموا الإنجليزية في طفولتهم، فإن كانوا يشعرون بنفس الشعور الفوقي الذي يألفه المتحدثون الأصليون باللغة الإنجليزية، فمن المفترض أن يزول شعورهم بالتميز رويداً رويداً، ومع ذلك فإن هذا الأمر لن يتم بين ليلة وضحاها، ففي الوقت الراهن يتمتع المتحدثون باللغة الإنجليزية من غير أهلها ببعض المميزات لأنهم يتحدثون لغة ذات أبعاد كونية، أما سبب اختيار اللغة الإنجليزية لكتابة هذة الدراسة الموسوعية دون غيرها من اللغات فلا يمكن شرحه إلا بعد الاطلاع على ديناميكية النظام اللغوي الكوني وهو الموضوع الذي يدور حوله هذا الكتاب.

أبرام دوسوان عالم اجتماع أوروبي مرموق من أصول هولندية تقلد العديد من المناصب الأكاديمية والعلمية المهمة في دول الاتحاد الأوروبي، كما عمل في جامعة أمستردام بهولندا وجامعة كورنيل بالولايات المتحدة الأمريكية وجامعة أوتفوش لوران في بودابست بالمجر والكلية الفرنسية - في فرنسا- ، وله العديد من البحوث والدراسات المنشورة في مجال الدراسات الدولية والأوروبية واللغوية، ومن بين مؤلفاته: "في ظل الاهتمام بالدولة : العناية الصحية والتعليم والرخاء في أوروبا وأمريكا في العصر الحديث" و"مدخل إلى المجتمعات البشرية" و"الاقتصاديات المصغرة المتبادلة" و"مكانة اللغة الإنجليزية في العلوم الاجتماعية".

مترجم الكتاب د.صديق محمد جوهر حاصل على درجة الليسانس في اللغة الإنجليزية من جامعة عين شمس في القاهرة عام 1981 وعمل معيداً في الجامعة نفسها، ثم حصل على درجتي الماجستير و الدكتوراه في الأدب الإنجليزي بتقدير امتياز من جامعة إنديانا في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم تولى تدريس مادة الترجمة في بعض الجامعات العربية كما عمل مترجماً فورياً وتحريرياً لدى بعض الجهات الحكومية في العالم العربي، وهو عضو في العديد من جمعيات الترجمة في أوروبا وأمريكا الشمالية ..له العديد من الأوراق البحثية والدراسات المنشورة في كبرى الدوريات العالمية المحكمة في الولايات المتحدة وأستراليا وبريطانيا ودول أوروبية عديدة، بالإضافة إلى عدد من الأعمال المترجمة إلى العربية والإنجليزية.. شارك في العديد من البحوث في مؤتمرات ومنتديات دولية، واختير متحدثاً رئيساً في بعض المؤتمرات الدولية، كما قام بتحكيم العديد من البحوث المنشورة في الدوريات المتخصصة في الولايات المتحدة والعالم العربي، يعمل حالياً في قسم الأدب الإنجليزي في جامعة الإمارات العربية المتحدة، وقد حصل على جائزة التميز العلمي و الأكاديمي من الجامعة.

أفيـــاء

■ محمد القعود

استلمتُ مقاليد الصمّت،
ووجدت شعوباً من الأحلام
لا تجيد التعبير عن الغد..
أستلمتُ مقاليدَ الصمّتِ
وأقسمتُ أن احافظَ
على بلادٍ ليست لي،
وعلى غدٍ يناصبني الرحيلِ
وعلى شعبٍ يمجّد الفراغ
وعلى ماضٍ يربّي خرافاته
وعلى حاضرٍ يعبد المجاعة
وعلى أمجادٍ يعشقها لصوص الآثار
وعلى مستقبلٍ يفخّخ نفسه بالوجوه الناسفة
وعلى قبائل تأكل بأناملي
وعلى أرضٍ تمنح حنانها للذئاب،
وتمنحني للظلالِ العابرة..

استلمتُ مقاليد الصمّت،
وأقسمت في برلمان النعاس،
أن أسير على خط الخراب العام
وأن أبارك للظلام خُطاه المجيدة
وأن أمنح للجوع أوسمة البطولة
وأن افتتح للجوع معسكرات جديدة
وأن أمنح الضياع أوسمة البطولة
وأن احرص على سلامة الخوف
وأن احاكم العصافير على حضورها المبكر..

استلمتُ مقاليد الصمّتُ
وأقسمتُ أن أحافظ
على عواء التاريخ
وهتاف الجماهير النائمة
في متحف الأحلام الذابلة..
وأن أقمعُ نفسي
إن حاولت التطاول
على حرمة الفوضى
أو حاولت التعبير عن الضجر،
أو تحالفت مع براعم الأمل..

استلمتُ مقاليد الصمّت،
واصدرت جنوني إلى جميع الجهات النافذة
وإلى جميع شعوبي الضائعة
وإلى جميع أضداد الحياة
لا طاقة لكم بذبولي
ولا طاقة لي بسرابكم
ولا طاقة لنا بتفاهاتنا العظيمة..!!

استلمتُ مقاليدَ الصمّتِ
وأقسمتُ للمرة ما بعد الصفر
إن أعمل على رخاء شعوبي العاشقة للتعاسة..!!

إليانور كاتون تحصل على جائزة 'مان بوكر'

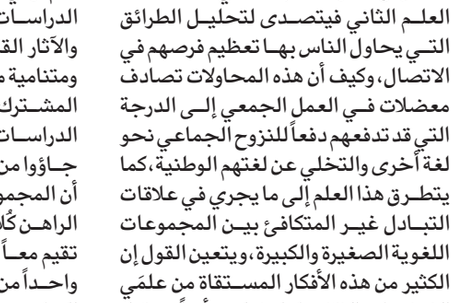

لندن-فازت الكاتبة النيوزيلندية إلينور كاتون بجائزة مان بوكر لعام 2013 عن روايتها (اللامعون) "ذي لومينيريز"، لتصبح أصغر فائز بالجائزة منذ تأسيسها قبل 45 عاما.

ووصف روبرت ماكفرلين رئيس لجنة التحكيم الروائية الكاتبة البالغة من العمر 28 عاما بانها رائعة من حيث اسلوب الكتابة والسرد.

وتدور أحداث الرواية حول حمى التنقيب عن الذهب التي شهدتها نيوزيلندا في القرن التاسع عشر. وشكرت دار النشر جرانتا لصبرها على كبر الرواية التي جاءت في 848 صفحة. . وقالت وهي تمزح خلال مؤتمر صحفي "اضطررت حقا لشراء حقيبة جديدة لليد بدلا عن حقيبتي القديمة التي لم تكف لحمل الرواية."

وتفوقت كاتون على خمسة كتاب آخرين كانوا مرشحين للفوز بتلك الجائزة الأدبية البالغ قيمتها 50 ألف جنيه استرليني، وقدمت دوقة كورنوول الجائزة لكاتون في حفل أقيم في لندن. .وهذه هي المرة الثانية التي تمنح فيها هذه الجائزة لأديب من نيوزيلندا، مع العلم أنها تقدم كل سنة لكتاب يكتبون بالإنجليزية من دول الكومنولث و إيرلندا وزيمبابواي. فقد فاز بها الكاتب النيوزيلاندي كيري هولم عام 1985.

يشار إلى أن الرواية المكونة من 832 هي أيضا أكبر كتاب يفوز بجائزة مان بوكر.

المستقبل والقوة الرقمية

من المعروف أن ثورات الإنتاج في الماضي، مثل الثورة الصناعية الكبرى التي عرفت أوج ازدهارها في القارّة الأوروبية منذ قرنين من الزمن، كانت تزيد عامة، من ثروات البشر في عصرها، كما كانت توسّع من هامش حريتهم. فهل الأمر مختلف بالنسبة للثورة الرقمية التي تعيشها الإنسانية منذ عقود قليلة؟ الفيلسوف والباحث في مسائل الثورة الرقمية وأحد العاملين البارزين في صناعتها، جارون لينير، يؤكّد أنها مختلفة، وذلك بكتاب يحمل عنوان «لمن يعود المستقبل؟».

يحاول جارون لينير في هذا العمل، أن يشرح آلية عمل المفاهيم الجديدة للقوّة، وكيف جرى تصميمها وعملية السيطرة عليها. لكنه يؤكّد منذ البداية أن الثورة الرقمية الحالية أدّت إلى انهيار مستوى معيشة الكثير من البشر. وبدلاً من أن تزيد التكنولوجيات الرقمية من ثروات الجميع، وتحسّن مستوى معيشتهم وتجعلهم بصحّة مالية جيّدة، ركّزت الثروات لدى الشركات والمجموعات التي تهيمن عليها، وقلّصت بالتالي، من هامش النمو. وقللت من إمكانات العيش كما في الماضي، لدى أعداد متزايدة من البشر.

يشرح المؤلف أنه إذا كان لمحرّك البحث «غوغل» أو لـ«فيسبوك»، قيمة. فإن ذلك يعود إلى كون المليارات من البشر يُدخلون المعطيات المتوافرة على شبكة الإنترنت بحواسيبهم من دون أي مقابل. لكن المشكلة، كما يحددها المؤلف، أن هذه المليارات هي التي تسهم في زيادة «القيمة المضافة» للشركات والمجموعات التي تستفيد من دراسة المعطيات وتحليلها، من غير أن يحصل مستخدمو الإنترنت على أيّة فائدة من استغلال معطيات هم في أصلها. ولا يتردد في المطالبة بطرق لتعويض أصحاب المعطيات عندما تتحوّل إلى أنظمة معلوماتية. وأحد الأفكار التي يقترحها، إيجاد هوية رقمية كونية ـ عالمية، تحفظ لصاحبها حقوقه.

لكن التحدي الحقيقي، كما يشرح المؤلف، يكمن في واقع أن البشر العاديين من مستخدمي الإنترنت، لا يفهمون دائماً، مدى قيمة المعطيات التي هم مصدرها. بل على العكس، يرى أن هؤلاء البشر يعتبرون أنهم يتلقون خدمات كبيرة بلا ثمن، أو ربما بثمن زهيد، وهذا يعني أنهم يمارسون «تجارة عادلة» يستفيدون معها من الخدمات المقدّمة لهم، مقابل معطيات شخصية.

يرى لينير، أن الآلية ذاتها، ربما تصبح ممارسة شائعة في عدد من الميادين الأخرى، مثل الطب أو قطاع النقل. وبالتالي فإن النتيجة بالضرورة، زحف آخر لصناعة المعلوماتية سيوظف مادياً لصالح بعض الشركات والمجموعات، التي ستحتكر استخدام أنظمته الرقمية. والنتيجة المقابلة، أن عدداً كبيراً من البشر العاملين، سيفقدون فرص عملهم.. ومن ثم سبل عيشهم. ومثل هذه الآلية سيترتب عليها تغيّر كبير في البنية المجتمعية، وربما الاختفاء الكامل للطبقة الوسطى.

يشرح المؤلف، أنه من خلال عمله في عالم صناعة التكنولوجيا الرقمية العليا، سمع الكثير من الأحاديث عن خلق ما سيزيد من سعادة العالم ورفاهيته، لكنه عندما نظر إلى الواقع، رأى أن ذلك صحيح بالنسبة للبعض من الذين يهيمنون على تلك الصناعة، وليس بالنسبة للسواد الأعظم من البشر الذين «يغرقون أكثر فأكثر». كذلك يرى أن هناك مشكلات كثيرة ترتسم في الأفق غير البعيد.

المؤلف في سطور

جارون لينير. فيلسوف وباحث في مجال المعلوماتية وتأثير التكنولوجيا المتقدمة في حياة البشر. وهو مصنّف في عداد المخترعين الـ300 الكبار في التاريخ، حسب الموسوعة البريطانية «إنسكلوبيديا بريتانيكا»، واعتبره بعض النقاد أحد أفضل مائة مفكر معاصر. لقي كتابه الأوّل «أنتم لستم لعبة»، ترحيباً كبيراً، على أساس أنه يدافع عن الإنسان في مواجهة الآلة.

الكتاب: لمن يعود المستقبل؟
تأليف: جارون لينير - الناشر: سيمون وشستر ـ نيويورك ـ 2013 - الصفحات: 416 صفحة - القطع: المتوسط